

على الغلاف

هنذ اربـم سنوـات، لم تعد بلدة بر الـياس البقاعية تفكّ حدادها على ضحايا مرض السرطان الذي يجرح أبناءها واحدا تلو الآخر. حدث ذلك هذ صارت لعنة جيرة نهر الليطاني الغارق في اوساخ مجاري الصرف الصحي ومخلفات المعامك المعتدية على ضفافه و«اوساخ» الدولة التي اهملته هنذ ثلاثين عاما. صحيح ان آمالا ربما تكون معلقة على المصلحة الوطنية لنهر الليطاني التي بدأت أخيرا بملاحقة ملوئي النهر، لكنها مسيرة طويلة، ودونها ضحايا كثر سيسقطون

لعنة الليطاني برّ الياس «تنحـر» بالسرطان

أجانا حمية

في بر الياس، «ينتحر» الناس بالسرطان. لا يكاد يمر أسبوع على البلدة، من دون أن يموت أحد به«هيداك المرض». هناك، تعددت «الموتات» والسبب واحد: السرطان، إلى درجة أن أحدا لم يعد يصدق أن ثمة من يرحلون بسبب أزمة قلبية أو يمرض السكري أو بسبب التقدّم في العمر. لا يأتي هذا الإنكار من عبث، وإنما من واقع يعيشونه

يتحدّث الاهالي عن نحو 600 مصاب بالمرض في البلدة وثمة من يؤكّد انهم «بحدود 700»

ويعايشونه. وهم لا يببالغون عندما يتحدّثون عن «يسوقهم» السرطان إلى الموت، فيقولون إن من «بين كل 5 وفيات بالضربة، 4 يبروحوا فيه». قبل أن يصبح السرطان واقعا في بر الياس، لم يكن الناس ينتبهون الى تلك «الحسبة». كان «متلو مثل غيرو»، يقول ثابت زرين. لكن، منذ أربع سنوات، بدأ الموت يتخذ مسارا آخر، عندما لم يعد الناس يسألون «كيف مات فلان؟»

الجم، يتحدّث الاهالي عن نحو 600 مريض بالسرطان في البلدة. ثمة من يقول «بحدود 700»، بحسب المختار

زاهر الهندي. ما يعرفونه فقط هو أرقام من يتلقون العلاج «وهم بحدود 300 مريض بحسب أرقام وزارة الصحة العامة». لا إحصاء دقيقاً لعدد المرضى، فقد توقف «العّد» منذ فترة طويلة، مذ صار المرض «سرا» شائعا، لم يعد أحد يخبر عن موته الآتي. لا علاقة للأمز هنا بالخوف، بل «بسبب شعور الشفقة الذي يواجه به المريض»، يقول الهندي. أما السبب الآخر، فهو أن السرطان صار «عموم»: سجد من حدّثك عن بيوت معظم أفرادها مصابون بالسرطان. هنا، أب وابنته، وعلى بعد بضعة منازل، أب وأم وطفتلتهما الصغيرة، قبل أسبوع ماتت الشابة ودا، وقبلها بأسبوعين مات شاب آخر. الكل «صابه القعد»، يقول المختار الذي منته هذا القعد بـ«ثلاثة من أفراد عائلتي بظرف سنة ونصف سنة».

سيرة جيران النهر

لم يسقط السرطان بـ«الباراشوت» على المنطقة، ولا اتاهم دون سواهم من المناطق التي تعيش الحال نفسها. وإذا كانت لذلك أسباب عامة، فما يتعلّق بالعوامل الوراثية والطفرات الجينية، أو ما يتعلّق بالتلوث (مبيدات زراعية، نفايات...)

يقول السيد، والخبر لم يعد يأكل كل ثمة سببا آخر راكم للّعة، وهو جيرة نهر الليطاني الذي استحال

يقق بهم، و«وصلت لمحل صرت عم يشترى البطاط من بيبي»، أما زرين، فقد أبقي من الأرض التي يزرعها قمحا، 400 متر «أزرعها خضروات لناكل منها. نحن عشرة بيوت ناكل خضارا من هذه المساحة، لكننا لم نعد نعيش مما نزرعه، فالقمح بالكاد يسدّ الرمق... إذا الله رُططنا». اتسعت سهول القمح في بر الياس. هذا ما فرضه الجار عليهم. لا خيار ثالثا: إما القمح أو السرطان. من بقي على الزراعات المروية من مياه الليطاني بات في مواجهة مفتوحة مع بقية الاهالي، خصوصا أعضاء «اللجنة الوطنية لنهر الليطاني». لا يبالغ المختار زاهر الهندي في القول إن الزراعة هي «عمود» الحياة في بر الياس، «فمعظم الساكنين مزارعون. أما البقية، فقد فتح لهم الطريق الدولي الذي يمز في البلدة منذ عام 1982 سبيلا آخر عبر افتتاح مؤسسات تجارية». حتى اليوم، لم يفتتح الموسم الزراعي في بر الياس. مع مطر هذا العام، قاض النهر على جيرانه ولم يعد بالإمكان زرع المساحات التي تحدّ ضفتيه. غرقت معظم الأراضي في «خبطة» من مياه الأمطار ومياه اقنية المجاري الآتية من المعامل والسيوت وتجمعات النازحين السوريين. مع ذلك، يعول الاهالي على مياه المتساقطات لـ«تقلب مياه النهر»، وتحدّث من حدّة التلوّث، يقول الهندي. هكذا، ينظر الناس إلى الجار، يراقبون «تحولاته» عبر الفصول ليتنبأوا بمصيرهم الآتي. هذه السنة «شكلها سنة خير شوي»، ليس فقط في الزراعة، بل أيضا في أحوال الصيف والروائح التي تتسبب فيها أوساخ النهر. يقدر هؤلاء أن «الروائح ستكون أكثر هذا العام».

حياة في مجرور او موت بالسرطان

لا الصيف ولا الشتاء يخفّان من وطاة النهر على البلدة. قبل ثلاثين



سبعة مصانع أمام القضاء

حددت القاضي المنفرد الجزائري في بعلبك لميس الحاج دياب، أمس، الخامس من آذار المقبل موعدا لجلسة النظر في ادعاء مصلحة الليطاني على سبعة مصانع في بعلبك بتهمة تلويث النهر. المصلحة الكشفت الفتى للمصلحة التي أجرتها المصلحة الوطنية لنهر الليطاني تؤكد عدم سلامة هذه المياه وعدم صلاحيتها حتى للاستعمال المنزلي.

كثيرو استبدلوا الزراعات المروية بزرعات اخرى «بعك» كي لا يضطروا الى زراعتها الليطاني (مبتم الموسمي)

8396 هكتارا

مساحة الأراضي الزراعية الواقعة في حرم النهر (ضمن مسافة كيلومترين من ضفتيه)، يمكن أن تروى كلها من النهر مباشرة. ويعد تصاعد أزمة الليطاني ومقاطعة المنتجات الزراعية المزروعة في محيطه، انخفض عدد الأراضي المروية من النهر أو روافده إلى حوالي ألف هكتار.

50000 نسمة

عدد المستفيدين من مياه الشفة في عدد من المناطق الواقعة في الحوض الاعلى والتي تتغذى من مصادر شمسين، علما أن الفحوصات المخبرية التي أجرتها المصلحة الوطنية لنهر الليطاني تؤكد عدم سلامة هذه المياه وعدم صلاحيتها حتى للاستعمال المنزلي.

100000 نسمة

العدد التقريبي للبنانيين المقيمين في القرى القريبة جدا من النهر في اقضية زحلة والبقاع الغربي وبعلبك.

68645 نسمة

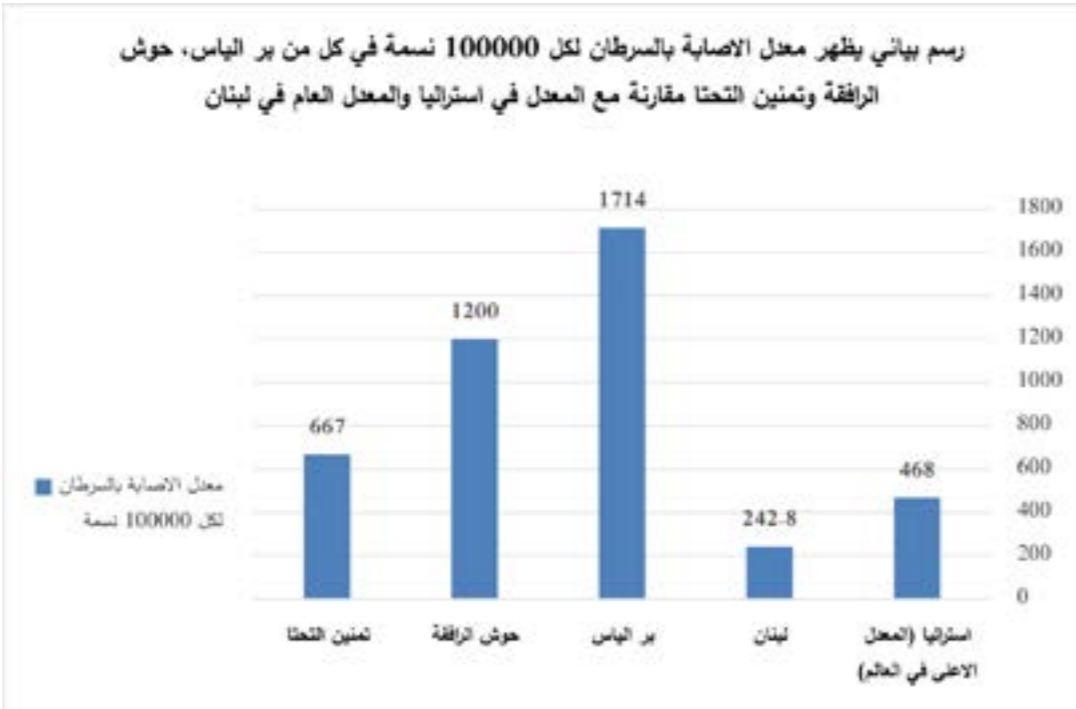
عدد النازحين السوريين المقيمين ضمن مخيمات وتجمعات على ضفاف الليطاني ممن تصب مياه صرفهم الصحي مباشرة في النهر.

4 ملايين م³

كمية الصرف الصناعي غير المعالج التي ترمى في النهر سنويا، والناتجة عن 185 مصنعا تم مسحها في الحوض الاعلى، علما أن عدد المصانع المرخصة وغير المرخصة يقدر بـ865، مما يجعل هذا الرقم قابلا للزيادة بعد استكمال المسح.

46 مليون م³

كمية الصرف الصحي غير المعالج التي تصب في الحوض الاعلى مباشرة في النهر أو تتسرب الى المياه الجوفية في ظل غياب محطات التكرير أو تعطلها.



صرف محطات تكرير الصرف الصحي، ويعتبر سبيبا رئيسيا للاصابة بسرطانات القولون والكلى والمبيض والمثانة. نواتج التطهير الجانبية التي تنتج عن تفاعل مادة الكلور التي تستخدم لتطهير المياه مع البقايا الحيوانية (الناتجة عن المزارع والمسالخ)، إذ يتفاعل الكلور مع المواد العضوية في هذه البقايا ويشكل نواتج التطهير الجانبية السامة المسببة لسرطانات المثانة والكبد والكلى والأمعاء، وتشوهات الأجنة. التقرير أكد ان كل هذه المواد المسرطنة موجودة في الليطاني، كما أن مسبباتها كانت، ولا تزال، موجودة. وخلصت الى أن ذلك «يؤكد فرضية كون الليطاني نهرا حاملا وناقلا للسرطان»، ولفت الى أن وجود هذه الملوثات المسرطنة لا يقتصر على النهر، «بل إنها على الأرجح تتسرب الى المياه الجوفية وتلوثها وتنفّل السرطان مباشرة الى عفر دار سكان الحوض الاعلى للنهر».

معدلات الاصابة في البقاع الاعلى عالميا

والفرزل. ويتبين هول هذه الأرقام إذا ما قورنت بعدد الاصابات في استراليا، التي تحتل المرتبة الأولى عالميا بمعدل 468 إصابة لكل مئة ألف نسمة، وأسفرت المصلحة الى دراسة حديثة نشرت أخيرا في مجلة «جورنال كانسر» العلمية، كانت خلاصتها أن «البلدان الليطاني، حصلت عليها «الأخبار» واستندت إلى عدد حالات الاستشفاء على نفقة وزارة الصحة، تبين أن العدد الأكبر من الاصابات يتركّز في القرى والبلدات المجاورة لنهر الليطاني وروافده ففي حين يحتل لبنان المرتبة 48 عالميا بمعدل 242,8 إصابة لكل 100 ألف نسمة، سجلت في بلدة بر الياس، مثلا، 600 إصابة بالسرطان من أصل عدد سكان البلدة البالغ 12185 نسمة. فيما سجّلت 60 إصابة في بلدة حوش الرافقة البالغ عدد سكانها نحو 1700 نسمة، و40 إصابة في بلدة تمين النحا البالغ عدد سكانها 3863 نسمة. كما سجلت معدلات مماثلة في بلدات القرعون والمرج والمنصورة وغرة وحوش الحرمة والروضة والدلهمية والجهاز التنفسي.

الفحوصات اثبتت وجود المواد المسرطنة في مياه النهر

رسم بياني يظهر معدل الاصابة بالسرطان لكل 100000 نسمة في كل من بر الياس، حوش الرافقة وتمين النحا مقارنة مع المعدل في استراليا والمعدل العام في لبنان